



## تحديات الوساطة في النزاعات العائلية العنيفة " حالة دراسية" [1]

محمد هادية [2]

تشكل النزاعات العائلية التي تنطوي على العنف تحديًا كبيرًا للوسطاء، حيث تتداخل القضايا النفسية والاجتماعية والقانونية بشكل معقد. يُلقى هذا المقال الضوء على حالة دراسية توضح الصعوبات التي يواجهها الوسطاء في هذا السياق، ويقدم توصيات لتحسين الممارسات المهنية وضمان سلامة الأطراف.

### خلفية الحالة

تتناول الحالة نزاعًا بين زوج وزوجة، حيث تعرضت الزوجة للعنف الجسدي واللفظي المتكرر مما أدى إلى تركها منزل الزوجية. استمرت النزاعات بين الطرفين، وتوجهت الزوجة للمحكمة لإنهاء العلاقة الزوجية، ومارس الزوج ضغوطًا غير مباشرة على الزوجة من خلال تحريضه للأبناء ضدها في محاولة منه لإعادتها لمنزل الزوجية، مما دفعها لطلب الوساطة.

بناء على طلب الزوجة للوساطة، تم التواصل مع الزوج الذي وافق هو أيضا على الوساطة وأظهر استغرابا من ترك الزوجة منزل الزوجية ورغبة كاملة في عودتها للمنزل.

تبين خلال الوساطة أن الزوج يعاني من **مرض عصبي** ويتناول أدوية للتحكم في أعصابه، وله **سجل جنائي** بسبب اعتداءات سابقة. من ناحية أخرى، اعتبر الزوج أن الزوجة تستغزه عمدًا، مما يزيد من صعوبة ضبط نفسه.

### التحديات التي واجهت الوساطة

- التاريخ العنيف:** أدى العنف السابق إلى انعدام الثقة بين الطرفين، مما جعل الحوار صعبًا رغم محاولات الوسيط تشجيع الزوجين عليه. كان واضحا أن الطريقة الوحيدة للتعامل مع المشكلات التي اعتادها الطرفان هي العنف سواء اللفظي أو الجسدي.
- الصحة النفسية:** أثرت اضطرابات الزوج العصبية على تفاعلاته وسلوكه خلال الجلسات. خلال عقد الجلسة المنفردة مع الزوجة لم يحتمل الزوج فكرة جلوس زوجته مع رجل غريب " الوسيط " فقام بالإتصال بأولاده طالبا حضورهم للمكان. خلال الجلسة المنفردة للزوج صرح للوسيط بأنه لا يعرف ما الذي يجري خلال الوساطة، وأن هذا الأجواء والطريقة التي تتم بها الوساطة غريبة عنه ولم يعتدها ولا يجد نفسه مرتاحا لها. لم يؤثر على شعوره بعدم الراحة تذكير الوسيط بأنه شرح له خلال عرضه للبيان الافتتاحي ماهية الوساطة ودور الوسيط ومراحل الوساطة وسؤاله للزوج إذا كان هناك أي شيء غير واضح للقيام بتوضيحه.
- التحريض المتبادل:** كلا الطرفين اتهم الآخر بتأجيج النزاع عبر الأبناء أو أطراف أخرى. لم تنجح محاولات الوسيط مساعدة الأطراف للإنتقال للحديث حول الحلول. كل واحد منهم تمسك بإلقاء اللوم على الآخر وتوجيه الإتهامات

4. **غياب الاستعداد للتواصل:** لم يكن أي من الطرفين مستعداً للاستماع للآخر أو تقديم تنازلات.

## تحليل الإطار النظري

**نظرية دائرة العنف:** تمثل الإطار النظري الذي يصف الطريقة التي يمكن أن يصبح بها العنف نمطاً متكرراً في العلاقات أو المجتمعات إذا لم يتم التدخل بشكل جذري لكسر هذا النمط. تم تطوير النظرية أساساً لدراسة ديناميكيات العنف في العلاقات الشخصية (مثل العنف الأسري)، ولكنها تُستخدم أيضاً لتحليل العنف في السياقات المجتمعية والسياسية. وتتم العلاقات وفقاً لهذه النظرية بثلاث مراحل تبدأ بالتوتر يليها الانفجار ثم الهدوء.

تساعد النظرية في العلاقات الأسرية في فهم كيف يستمر الضحايا في علاقات مسيئة وكيف يمكن للعنف أن يصبح حلقة مفرغة. كما تعتبر الثقافة الاجتماعية السائدة في قبول العنف كوسيلة لحل النزاعات، وغياب المحاسبة لعدم وجود نظام قانوني قوي يعاقب المعتدي، والاعتماد العاطفي للضحية التي غالباً ما تكون مرتبطة عاطفياً بالمعتدي، كما تعتبر التبريرات التي يقدمها المعتدي مبررات للعنف (مثل ضغوط العمل أو سوء الفهم) من أهم العوامل التي تغذي دائرة العنف.

## الدروس المستفادة

### أولاً: التقييم المسبق للحالة

من المهم تحديد جدوى الوساطة في حالات متعددة من ضمنها **العنف الشديد** وذلك قبل البدء بعملية الوساطة.

يقوم الوسطاء عادة بإجراء **تقييم مسبق للنزاع** قبل بدء إجراءات الوساطة، وهو جزء أساسي من التحضير لضمان سير العملية بفعالية. يُعرف هذا التقييم أحياناً بمرحلة " **التقدير الأولي** " أو " **فحص القابلية للوساطة** " ويهدف إلى:

### تحديد مدى ملاءمة النزاع للوساطة

والحقيقة أنه ليس كل النزاعات قابلة للوساطة، لذلك يقوم الوسيط بتقييم:

هل الأطراف **مستعدة** للانخراط في الوساطة طوعاً؟ وهل هناك **توازن في القوة** بين الأطراف أم أن أحدهم في موقف ضعيف جداً؟ هل النزاع يحتوي على عناصر غير قابلة للتفاوض، مثل القضايا الجنائية مثلاً؟

### تقييم العلاقة بين الأطراف

يتم فحص طبيعة العلاقة بين الأطراف هل هي عدائية جداً؟ هل هناك فرص للتفاهم؟ إضافة إلى مستوى الثقة أو انعدامها بينهما، واحتمالية استعدادهم للالتزام بالحلول.

### تحليل المخاطر والاحتياجات اللوجستية

وفي هذه المرحلة يتم النظر في المخاطر المحتملة، مثل **التصعيد أو العنف**، والحاجة إلى إجراءات خاصة، والترتيبات اللوجستية مثل مكان الوساطة واللغة المستخدمة.

### ثانياً: الدعم المهني

إشراك مختص نفسي كان يمكن أن يساعد في التعامل مع التحديات النفسية.

العمل بالوساطة الثنائية (Co- Mediation) مع وسيط من خلفية الإختصاص النفسي في القضايا التي تتضمن **العنف الأسري**، يمكن أن يكون عاملاً مهماً في إنجاح الوساطة، فهو مؤهل من ناحية مهنية لفهم الحالة النفسية للأطراف الغير قادرين على التفاوض بفعالية بسبب الصدمة، الخوف، أو التبعية العاطفية أكثر من الوسطاء القادمين من خلفية قانونية

مثلاً. كما أنه قادر على التحقق من ضمان عدم إعادة إيذاء الضحية أثناء الوساطة في حالات العنف الأسري، حيث أن وجود الطرف المسيء قد يؤدي إلى إعادة تفعيل مشاعر الخوف والضعف لدى الضحية. كما يمكنه **مراقبة التفاعل العاطفي** والتأكد من أن الطرف الأضعف لا يتعرض لضغط نفسي يجعله يقبل حلولاً غير عادلة.

كما أن وجود وسيط مع اختصاص نفسي يساعد في التعامل مع ردود الفعل العاطفية القوية مثل الغضب، البكاء، الصمت المطلق أو الانفجالات العنيفة التي يمكن أن تعيق عملية الوساطة، فهو قادر على احتواء هذه المشاعر وتوجيهها نحو تواصل أكثر إيجابية.

### ثالثاً: الواقعية في التوقعات

قد لا تكون الوساطة مناسبة دائماً لأطراف النزاع و/ أو النزاعات التي تنطوي على مخاطر عالية.

الحقيقة التي أثبتتها الدراسات البحثية واستطلاعات الرأي والواقع والتجربة أن المجتمعات التقليدية تطبق نظم خاصة بها لحل النزاعات، وهي نظم راسخة في ذهن ووجدان هذه المجتمعات، وهذه النظم لا تتفق كثيراً مع نهج الوساطة الذي تحكمه مبادئ الطوعية والحياد وتقرير المصير وعدم الإكراه. كما أن أشخاصاً اعتادوا الحصول على ما يعتقدون أو يدعون أنه حق له باستخدام العنف لا التهديد لا يمكنهم أن يتحولوا بسهولة للحوار وأن يلتزموا باحترام ما يفضي إليه التفاوض.

تؤكد هذه الحالة الدراسية على تعقيد النزاعات العائلية التي تنطوي على العنف وأهمية اتباع نهج شامل ومتكامل في الوساطة، مبني على التقييم المسبق لكل حالة قبل الدخول في عملية الوساطة. من المعروف أن الوسيط لا يقومون دائماً بما يعرف بالتقييم المسبق للنزاع، وأنهم يقومون بفحص بعض أو كل هذه المعلومات بعد الدخول في عملية الوساطة خلال إدارتهم للجلسات، وأن بعض الوسطاء يغفلون هذا التقييم تماماً. كما أن الواقعية في التوقعات تعتبر مهمة خاصة في المجتمعات التقليدية والأطراف القادمة من عالم لم يتعرف على الوساطة عن قرب من قبل. وأخيراً فإن الوساطة الثنائية (Co-Mediation) مع وسيط قادم من خلفية متخصصة بالدعم النفسي تعتبر قيمة مضافة لضمان نجاح الوساطة وسلامة الأطراف وتعزيز الحلول المستدامة للنزاع في نفس الوقت.

[1] الحالة الدراسية موضوع هذا المقال هي حالة حقيقية مرت على الوسيط كاتب المقال وتم خلال عرضها مراعاة كافة قواعد السرية التي وقع عليها الوسيط في اتفاقية الوساطة الموقعة مع أطراف النزاع والتي تمنحه الحق في استخدام معلومات الوساطة لغايات البحث العلمي مع المحافظة على عدم الإشارة إلى الأطراف.

[2] محمد هادية، محام ومحكم ووسيط، محاضر وباحث ومدرب في مجال الوساطة وبناء السلام، مؤسس ورئيس مجلس إدارة مؤسسة ACT لحل النزاعات.